قرأت العدد الماضي من الآداب

الأبحاث

بقلم محي الدين اسماعيل

قرأت مقال جان بول سارتر عن « نظام الاستعمار الفرنسي في الجزائر » وهو مقال ذو خطورة حقاً ، تحدث فيه كاتبه عن عار المتربول الفرنسي وفضائحه ، حيال الكيان العربي في الجزائر ، ذلك الكيان الذي ينبغي أن يقود أي حكم أو افتراضات تستهدف مناقشة الأزمة هناك * . فلقد اعترف سارتر بخصائص هذا الكيان ، ووقف منه موقف المنصف . ولا مراء أن الأزمة الكيانية التي يعانيها الضمير الجزائري ، أزمة لها عواملها المتعددة المتواشجة ، تمتد أعراقها بعيداً إلى بداية القرن السادس عشر ، وهو القرن الذي شهد مؤامرة اليهود والفرنسيين على عروبة الجزائر ، بحيث بدأت تكون موضع بحث ! وقد اتخذت تلك الأزمة ذلك الإطار الإقتصادي الذي تتخفى وراءه أعظم عوامل التاريخ في معظم الأحايين (ودراسة الحروب الصليبية طريفة في هذا الباب). حتى لأكاد أقول إن الداي حسين العربي الجزائري ، يوم أن صفع « مسيو ديفال » على وجهه بمروحته اليدوية ، إثر الخصومة التي نشبت بينهما في نيسان ١٨٢٧ حول صفقة الحبوب بواسطة السماسرة اليهود ، كانت ايذاناً بتيقظ الوجدان الجزائري – العربي – الشرقي – الإسلامي...

ومازال هذا الإطار الإقتصادي للازمة قائماً بوضوحه الكالح حتى اليوم ، إذ ان الـ (٩) ملايين فدان من الأرض المنتجة للحبوب ، والتي ترددت أخيراً على السنة المسؤولين في باريس ، هي البدوات الظاهرة لهذا السعار . أما ما وراء ذلك ، وما لم يعرض له « سارتر » ، فهي العوامل المستورة لهذا القرار الذي اتخذه الضمير الجزائري ، روحياً وكيانياً ، لكي يحتفظ بخصائصه التي تضافرت على محوها شتى التحديات ، حتى بلغت درجة الحراجة والحسم ، أمام سبيلين .

دخلت فرنسا الجزائر وقد لمست أن الشعب الجزائري قد بلغ من الانحلال في شخصيته ، ما يمكنها من أن تظفر بتمثله ، بعد أن أجهز الحكم العثماني على صلابته الذاتية ، حتى غدا أفراداً معزولين في الصحاري والواحات المنقطعة ، أو قراصنة مشردين على السواحل والشطآن ، يلفظهم البحر ويعودون !

ولا مشاحة ، أن فرنسا قد تعثرت في مراحل السبيل الاولى ، واستبد بها الدهش من هذه المجاميع البشرية المتنافرة ، حتى أنها أقرت بعروبة الجزائر أول الامر ، لتجعل من ذلك مسوغاً لتدخلها هناك . فكان من ذلك أن أسس

* المغرب العربي من روافد الحضارة العربية ، لاسيما في أعقاب القرن السادس الهجري (دولة الموحدين) . وفي الجزائر استقر العلامة ابن جنى ، واسحاق وابراهيم الموصليان ، وزرياب وغيرهم . والمهندس الموصلي عبدالله ابن الحجاب اختط بعض المدن في المغرب العربي ، منها مدينة تونس الحالية . وفي مقبرة الشيخ معروف ومقبرة الشيخ جنيد البغدادي ببغداد قبور لعدد من أعلام الفكر العربي في الجزائر .

« بوجو » Bugeaud «المكتب العربي» Bureanx Arabes وهدفه الحقيقي ابتلاع الجزائر على مافيها من عروبة ومن شتيت المقومات الروحية والعرقية والفكرية الاخرى . ثم جاءت ثورة ١٨٤٨ ، فأعلنت الجزائر منطقة من المناطق التابعة للوطن الأم ، وبذلك اتضح للتاريخ زيف مزاعم هذه الثورة ، التي ما استطاعت أن تضع حلولا لورطتها ، إلا بأن قذفت إلى الجزائر بالألوف من عاهلها العاطلين الذين كانوا نواة المستوطنين الأول ، على نطاق واسع . وبعد الانقلاب الشهير بين عامي (١٨٥١ – ١٨٥٧) عين « الجنرال راندون » حاكماً للجزائر ، فأكمل إخضاع هذا القطر للحكم الفرنسي .

وفي عام ١٨٥٨ ألغيت الحاكمية العامة ، واستعيض عنها بوزارة الجزائر والمستعمرات . ثم أعيد بعد ذلك تأسيس الحاكمية العامة مرة أخرى عام ١٨٦٠ بعد مداولات رخيصة قام بها المارشال بلسييه Marshal Pélissier ومنذ ذلك الحين اتضحت معالم الانبعاث القومي بارتكاساته الأولى ، جواباً على تحديات الحكم الفرنسي ، فكانت ثورة أولاد سيدي شيخ ** عام ١٨٦١ والتي دامت ثلاث سنين متتاليات ، ثم تكرر التمرد ، بعد ذلك ، حيناً بعد حين . وألغيت الحاكمية مرة أخرى ، ثم أعيدت ، بعد كارثة حرب السبعين ، التي عاصرتها اضطرابات عديدة في الجزائر ، فما كان من المتربول الفرنسي ، إلا أن استنجد بأحلافه من اليهود المتآمرين على القومية العربية . فأصدرت قانوناً اعتبر فيه اليهود من الرعايا الجزائريين ، ظناً منه بأن يوقف اللبس في مفهوم هذه القومية وأن يوطيء لاقناع كل جزائري بأن يكون « جزائري الشخصية » فحسب ! وتتالت الضربات القاصمة على أيدي «الأميرال دي جويدون» de Juedon و « الجنرال شانزي » Chanzy وفي ٢٤ كانون الأول من عام ١٩٠٢ ، أصدر المتربول الفرنسي قانوناً اعتبر فيه المناطق الجنوبية ، وحدة إدارية وسياسية مستقلة بعزلتها عن الشمال ، الذي بدأت تتجرثم فيه الروح القومية بشكل سافر . وتمر السنون بتحدياتها المتشنجة ، للروح العربية في الجزائر ، حتى تبلغ ذروتها في الحرب العالمية الثانية على يد حكومة فيشي المتواطئة مع الرايخ الثالث الهتلري . وبنهاية الحرب ، تكون قد حلت البداية لنهاية محتومة على أي حال .

تلك هي الخطوط الأساسية للتمرد ، الذي ردت به الجزائر حفاظاً على مقومات كيانها القومي . وما الأطر والواجهات الإقتصادية لهذا التمرد ، سوى من قبيل خداع البصر التاريخي الذي تورط فيه الماركسيون وأمثالهم من اصحاب الأيديولوجيات المادية المحض . وقد نهج هذا النهج « سارتر » في بحثه هذا ، ولم ير أن وراء هذا الظرف الاقتصادي رد فعل هائلا على تحد طويل الأمد .

وجملة القول ، في هذا البحث ، الذي كتبه « سارتر » المفكر الفرنسي الكبير ، أنه بحث فيه إنصاف ، وفيه تقييم ، وهو بحث لو خلص من هذا الوهم الذي نصر على تعديله ، على الوجه الذي ألمعنا إليه ، لكان أعظم خطورة وارسخ .

وقرأت مقال الأستاذ أنور المعداوي عن « الأداء النفسي في الفنون » ،

** من المؤسف أن أقر بأني لا أستطيع أن أضبط أسماء الأعلام في المغرب عربي ، إذ أن معظم مراجعنا عنها في اللغات الأجنبية حتى الآن .

وقد أراد به أن يضع الفواصل بين « الفهم » و « الذوق » في الإبداع الفني . غير أني قد لاحظت من مقال الأستاذ المعداوي ، أنه قد أسقط من الحساب ، طاقات انسانية أخرى ، تتضافر لخلق الأثر الفني . وأرى انه كان عليه ، وهو بصدد البحث عن « الاداء » ، أن يبدأ بالتجربة . على أن التجربة وحدها ، تظل عارية خرساء ، مالم تتجسد بالأداء ، وهو المرحلة التالية . فالتجربة عند الفنان ، هي فن الحياة المفعم بالأشواق والنبوءات – كما يقول إيدمان الأمريكي – وهي التي عناها الأستاذ المعداوي حيث قال : « حركة في الوجود الخارجي ، تعقبها هزة في الوجود الداخلي ، يتبعها انفعال ... »

بيد أن الذي أراه هنا ، أن المسألة ليست مسألة « ذوق » ، وهو تعبير غامض يعوزه ايضاح كثير ، ويدخل في مطلب « الاستاطيقا » ؛ كما أنها ليست مسألة « فهم » وهو مصطلح لا أظن أني « فهمته » « فهماً » جيداً على وجهه المطلوب .. هو محض لفظ لغوي لاغير ، حمله الكاتب من المعاني ما ناء به .

وأعود فأنعى ، على أن هذا البحث الذي كتبه الأستاذ المعداوي ، تعوزه الدقة في « الأداء » ؛ فالذي أورده من تخليص واستنتاج يختص بمناقشة التجربة من حيث وظيفتها function وتوترها intensification وبالتالي اتضاحها clarification وهي مراحل التجربة الثلاث التي تتعانق بعدها عناقاً مكيناً مع « الأداء » .

وبالطبع لايفوتني أن أقرر ، بأن هذا البحث قد تضمن حقائق ثابتة مقررة ولو أنها مكرورة لاجديد فيها ؛ ولكنها بحسب ما يبدو لي ، منقولة نقلا مقصوداً من مجال البحث عن « التجربة » الى محور الذوق – الفهم في الفنون .

ومما قرأته في العدد الماضي ، بحث الدكتور عزة النص عن « قضية التعايش السلمي » .

ولا ريب ، أن معضلة تحديد الفوارق بين الشرق والغرب ، من المعضلات التي تقتضينا بحثاً طويلا في التاريخ والفيلولوجيا والسلالات . على أني أظن أن موقع السلالات الأول ، في « الشرق العربي » ، هو الذي قرر موقعي الشرق والغرب . وإن لفظة « أوروبا » Europe في جذورها الأتمولوجية القديمة ، تعني « الغرب » . والقارة الاوربية ، في موقعها الجغرافي ، غربي الشرق العربي ، .. غربي الحضارات الأولى ؛ وكل من جاء من هناك ، فهو إما غربي أو غريب .

بيد أن الدكتور النص ، لم يناقش سوى الموقع الجغرافي ، وهو غير ذي غناء ، في هذا التمييز ، وفي وضع الفوارق بين شرق وغرب .

ثم ألا يحسب الدكتور النص أن للبيئة ، بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى ، أثراً في التمييز بين المجتمعات ؟ أو لايظن أن هناك خصائص شتى ، تشترك فيها شعوب القارة الأوربية ، وأن بعض هذه الخصائص تشارك فيها شعوب القارة الأميركية من وجوه عدة ، أو من بعض الوجوه ؟ أولا يرى أن في قولنا ، إن هناك أدباً سكسونياً أو فكراً لاتينياً أو مزاجاً سلافياً ، اقرار ضمنياً بهذه المشابه التي كاد ان يرفضها الدكتور جملة وتفاريق ، وكاد أن يقيم الفوارق على انشطار المصالح فحسب ؟

أقول ، بلى إن هناك شرقاً ، وأن هناك غرباً ، بل اوشك أن أقول إنهما لن يلتقيا حتى تقف الأرض والسماء بين يدى الديان – ولكن لا على دين كبلنغ – إنهما لن يلتقيا ما دامت هناك تحديات وردود أفعال ، تتفاوت بتفاوت البيئات منبع عبقريات الأمم . وإني لأرفض ما ينادي به الأثنولوجيون العرقيون ، بيد أني أرى أن دراسة الأقوام دراسة حضارية ، تتيح لنا إدراك الحضارات القومية المختلفة ، كما تتيح لنا فهم تدفقها على مدرجة التاريخ ، طبقاً لقوانين لايعروها الخلل والضلال .

وعلى أية حال ، فالمقال بحث قيم يهم كل عربي مثقف يكرث نفسه باتخاذ موقف من عصره .

وفي العدد بحث بقلم الاستاذ نجيب سرور عن « قصائد من السودان » وهو تعريف بشاعرية شاعرين من السودان ، هما جيلي عبدالرحمن وتاج السر الحسن. وحيث أني لم أطلع على هذه المجموعة ، فما كان لي أن أناقش هذا البحث ، أو أن اصوب اليه نقداً ، أو الى تلك المجموعة الشعرية ، ببرهان او دليل محسوس غير أني قرأت أخيراً مقالا آخر في مجلة « الأدب » المصرية في عدد مايو ١٩٥٦ للاستاذ عزالدين اسماعيل ، أوضح فيه طرفاً من اتجاه تلك الطائفة من الشعر . وجل ما استطيع أن أنص عليه ، دون ان أتساءل عنه ، أو أقع في إحالة أوجور هوأن هناك مدرسة شعرية ، جعلت دأبها أن تستلهم العناوين الأولى في الصحف الرائجة ، دون استقلال في شخصيات شعرائها . حتى ترى الشاعر منهم يجزئك عن الآخر .. وهم جميعاً ينظمون كما تفضى بهم الأمور . والعجيب في أمر هذه المدرسة ، أن لها القدرة الخارقة على تنظيم نفسها ، والانتصار لاتجاهاتها ، حتى تحسبها ، أحياناً ، سيلا كسح وجه عصرنا الحديث .

وقد يكون هذان الشاعران من أبناء هذه المدرسة ، وعلى المستوى الشائع الذي عرفناه فيها . وعندئذ يكون بحث الاستاذ سرور ، فيه من غلواء الترخص بالشعر وقيمه الحقيقية ، ما يحنح بنا للاختلاف معه .

ولعلى استطيع أن أضع المقتبسات التى أوردها هو والاستاذ عزالدين اسماعيل موضع نقاش. بيد أن ذلك لن يكون من النقد التطبيقي في شيء. مع أني أعرف أن جيلي يقول :

« حارتنا محبوءة في حي عابدين »

ويقول :

« محمد يحكي لهم في لثغة العصفور
عن راكب الحصان في الميدان
والماء من نافورة تضاء ... »

على أني استطيع أن أقرر بان الشاعر الذي يزحم خطباء الإصلاح على منابرهم لن يكون باكثر من خطيب نظام .

وفي العدد بحث للاستاذ محيي الدين محمد عن الموسيقي الكبير « رحمانينوف » وهو بحث أحاط إحاطة طيبة بفن هذا الموسيقي المبدع ، والأستاذ محمد من الكتاب الذين أقرأ لهم في « الآداب » وأعجب بهم دائماً . وقد دلني بحثه هذا على أنه يفقه معنى العظمة التي يكتب عنها ، ولو أنني أخالفه فيما ذهب إليه ، من أن الرسام عندما أراد أن يجذب عامل « الزمن » : اسطورة الموسيقي الخاصة إلى مسطح اللوحة ... بان يمزج الأبعاد الأربعة ، وقف حائراً : لابد أن يكون الزمن خارج المكان ... فحصر الجواب يسيراً في منح زمن خاص لكل لوحة كالزمن المسرحي والروائي ...

أخالفه في ذلك ، ولو أن سكان فيرونا ما زالوا يشهدون القديسة هيلانة في نافذتها .. وأن الحوريات الراقصات اللواتي أطلقهن « كورو » بين أشجار الحور الفضية في فرنسا ما زلن في غسقهن أبداً – كما قال أوسكار وايلد – ... ليس هناك من تطور روحي ، في جميع الفنون البلاستيكية التقليدية ، وذلك هو الصدع الخطير الذي أرادت أن تتلافاه ، بأن تضيف إلى امتداداتها في المكان ، امتدادات أخرى في الزمان ، فتخرج من المسطح وعوائقه . ولكن الانطباعية المستفسرة عن كل شيء ، والتي لا تسلم بشيء ، قد حطمت « النسق » . فان « بوسان » مثلا قد اقترب في فنه « البلاستيكي » من تحقيق البعد الرابع ، لابالزمن الروائي ، ولكن بحدة هائلة من الرؤيا ، فيها تفصيلات كثيرة دائمة التغيير ،

بحيث نجد أنفسنا مرغمين على الاستنتاج . وهنا اقتربت هذه الفنون من الموسيقي بأن تعلم الرسام « تكنيك » القذف بنفسه في أحضان الزمن ... إن لوحات « ديغاس » و « سيزان » وأخيراً « دالي » و « بيكاسو » ما هي إلا خطفات سريعة عبر الرؤيا ... عبر الزمان .

فالانطباعية المستفسرة عن كل شيء ، والقائلة « ليتني أدرك كل شيء » ، حققت الأبعاد الأربعة في الفنون « البلاستيكية » ، ولم تحصر جوابها بأن قدمت زمناً كالزمن المسرحي والروائي .

وعلى أية حال ، فان بحث الاستاذ محيي الدين محمد ، بحث فيه كثير من الفطنة والسداد ، عالج أموراً فيها تجريد عسير . وهو بجملته صحيح الأصول.

بغداد **محيي الدين اسماعيل**

القصائد

بقلم كاظم جواد

قبل ان اكتب نقدي لقصائد العدد السادس من هذه المجلة الكبيرة ، كنت بازاء عبارة للكاتب الاميركي هوارد فاست ، مثبتة في كتاب عربي ، يؤمن مؤلفه بالاتجاه الواقعي الحديث في الأدب ، والى القارئ نصها :

« ان الواقعية ليست تبريراً لنقص الموهبة ، او لفقدان البناء الفني ، وليست هي احلال الحماقة والهراء محل رواء لغة الشعب وجمالها ، ولا تعني ان نسجن الفن في قوالب جامدة ، او ان نستبدل التذوق الدقيق بالعقائد الجامدة ، او ان نضع محل الشعر لغواً ، او ان نؤثر على طرفة الابداع قيود الوزن »

وقبل ذلك ، كانت تحضرني كلمة كتبتها في العدد الرابع – السنة الثالثة – من مجلة « الآداب » حول مفهوم لالتزام في الشعر الحديث ، واني لاذكر انني استشهدت بنص عبارتين لشاعرين غربيين تأييداً لمفاهيمي – او بالاحرى المفاهيم الواقعية الحقة – والتي ارى ضرورة تحقيقها في الشعر الحديث ليكون فناً ملتزماً . ينبغي للواقع – كما يقول غوته – «ان يقدم الباعث ، نقطة الإنطلاق ، النواة ، لااكثر ، ولكن الشعر هو الذي يجب أن يشكل منها كلا جميلا حياً » او كما يقول ايلور « واذا لم يشرب العالم الحقيقي رأس الشاعر فانه لن يستطيع ان يقدم للعالم الا اشياء مجردة مبهمة ، واحلاماً ناقصة ، ومعتقدات لا يقرها الصواب . وان الشاعر يمزج احساسه ، مخيلته بهذا العالم الذي ينبغي له أن يتغلب عليه ...» وكان الجدل ، في ذلك الوقت ، يضطرم حول المفاهيم الواقعية في الأدب ، وكان النقاد يبحثون بين ركام هائل من النتاج الشعري الزائف عن الفردية ، عن الميزات الشخصية لكل شاعر ، ولكن عبثاً...

والآن ليسمح لي ان اقول ان الاتجاهات الواقعية ، بعد ان اصبحت وقفاً على بعض الادعياء ، جرت الأدب العربي الحديث الى ملتويات معتمة والى كوارث وانتكاسات مريرة . في الماضي ، كان النقد الحديث يثور على البيتية «المقفلة» في الشعر القديم ، فاذا به الآن امام بيتية « مفتوحة » ليس لها قرار ، لانه ليس ثمة من معالم واضحة ، عميقة لتجارب الشعراء . وكان النقد الحديث ينكر على الشعر القديم عقليته ، ومعانيه المنطقية ، وصياغته الجامدة ، فاذا به الآن حيال بضعة مضامين محدودة تتلبس بضعة اشكال . ولقد فقد الشعر صفة عريقة مهمة من صفاته ، وهي الغناء ، فالشعر هو « اللغة التي تغني » كما يقولون بحق ولكن ما ابعد شعرنا الحديث عن صفة الغنائية هذه ، وما احفله بهذه الرتابة القاتلة المملة ! ولأن فلاسفة هذا الشعر العبيد ، يتحدثون ابداً عن خصائص لايتخطاها الشعر الواقعي الحديث ، لم تظفر اكثر القصائد الجديدة بلغة شعرية ات غناء ونماء وتطور . ومن وجوه التناقض ان الشعر الحديث . بدأ يتميز عن الشعر الكلاسيكي اول الامر ، باعتماده قوالب الشعر الحر ، ومع ذلك فاننا نؤاخذ الشعر الجديد لاهماله الشكل – حتى خصائص الشكل المناسب – لحساب المحتوى !

لابد لكل شيء من آلة ، لكل عمل ، لكل صنعة ، لكل فن ، وآلة الفن الحديث ، كي يتضافر مع القوى الاخرى لتبديل صورة العالم ، محتواه الحديث ، والمحتوى هو هذا العالم الرحب الشاسع ، هذه الحوادث والأفعال والصور التي لاتنتهي . وهو لذلك لن يقتصر على بضعة مفاهيم حزبية ، وبضعة شعارات عنترية جوفاء ، يختبيء خلفها ناظمو الشعر الرديئون . حقاً ان الفكرة عنصر هام وضروري من عناصر العمل الشعري ، الا انها تبدو في اغلب القصائد الجديدة غير متمثلة ، او بالاحرى غير معبر عنها بصورة انفعالية فنية . والغالب في تلك القصائد الهزيلة هو هذا التعبير النثري المباشر ، حتى ليصح ان يقال عن هذا الشعر الجديد انه « نثر مشعور » .

وبعد فالاتجاه الواقعي ، تعبير بالصور ، او كما قال احد النقاد « التفكير بصور » عن ارجاع العالم ، وانعكاس احداثه المثيرة على النفس الانسانية ، على الشعور الانساني المنفعل بتلك الارجاع والاحداث ، ومع ذلك فلكي يعبر عن تلك الانعكاسات بصورة فنية حية متطورة ، لابد من تفرد ، من تميز ، لان العمل الفني هو فعل نموذجي فردي قبل كل شيء .

مقدمة لابد منها لكي اتسلل بهدوء الى قصائد العدد السادس التي تشترك في صفات كثيرة ، منها تلون اكثرهم بطابع التجدد ، وكالاتصال بالواقع ، والاتجاه نحو الوجدان الاجتماعي العميق .

فداء : سلمى الخضراء الجيوسي

بهذه القصيدة ، استهلت مجلة « الآداب » عددها السادس ، وللمرة الثانية تفتتح المجلة احد اعدادها بقصيدة لشاعرة من فلسطين . ثمة روح هادئة تشيع في اغلب القصائد التي كتبتها الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي ، التي استطاعت ان تشق طريقها الى عالم الادب بثبات خلال فترة محدودة جداً . ولقد تأيد لي خلال زيارتي الاخيرة لها ، ان الشعر اصبح لديها قضية تؤمن بها ، وتكافح للتعبير عنها اصدق تعبير . في قصيدة « فداء » روح شاعرة تحاول بانفعال حقاً ان تتقمص روح فدائي عربي متمرد ، يناضل ليبارك « ارض السنابل والاقحوان والأغاني ، والرزايا » والقصيدة بحد ذاتها ، تتميز بشمول كبير يبرر للشاعرة عدم جدوى كل تسمية وكل تحديد ، فنحن لا نعرف عن الفدائي سوى انه فدائي وحسب ، ولا عن الأرض سوى انها هذا الوطن العربي الكبير . وفي القصيدة نغم شعري هادئ ، ولكن موضوع القصيدة ، على ما اعتقد ، يستلزم نغماً قوياً متدفقاً حاراً . وفي غمرة شمول القصيدة ، اكاد افتقد صوت الشعر فيها ولكن سرعان ما نتأكد ، بعد معاناة قليلة ، ان صوت القصيدة ، هو صوت الفدائي العربي . بيد ان لي بضعة مؤاخذات على قصيدة الشاعرة ، منها اقحام الحديث عن فدائي آخر من الخارج ، وادخاله ضمن اطار القصيدة ، بحيث تحول الضمير حالا الى الشخص الغائب ، بعد أن كان حاضراً . وفي قصيدة السيدة سلمى ، كما في اغلب القصائد الحديثة ، تشيع روح النظم في بعض الأبيات ، بحيث تبتعد عن سياق الجو الشعري السائد ، ومن ذلك قول الشاعرة :

ذئاب تعربد في ارضنا وارسو على الشاطيء الأخرس

وانا لا ادري مع العلاقة بين الذئاب المعربدة ، والرسو على الشاطيء الأخرس. الحق ان المعنى الذي قصدت اليه الشاعرة لم يتحقق ابداً ، لان الكلمات لم تتخذ مكانها الطبيعي الموحي المتآزر مع سياق القصيدة للتعبير عن المعنى .

وبعد ، فالقصيدة حافلة بالصور الجميلة . اما تركيبها فجدير ان يعجب في بعض نواحيه، كعودة الشاعرة الى المقطع الأول من القصيدة ، في النهاية ، بدون اي افتعال .

رسائل لم تكتب لها : نزار قباني

ليس في العدد سوى قصيدتين تتميزان بتجربة شخصية بحتة ، هما هذه القصيدة للأستاذ نزار قباني ، وقصيدة غارسيا لوركا للأستاذ بدر السياب . ونزار قباني ، من الشعراء القلائل الذين تعثر في كتاباتهم الشعرية على أسلوب خاص ، وعلى اتجاه في الحياة . وفيما يتعلق بنزار تكاد المرأة أن تكون موضوعه الوحيد الذي يدور حوله ويحوم . وموقفه تجاه المرأة معلوم واضح ، فهو لا يرى فيها غير (أجيرة) تستدرج (بالحديث الناعم) و (الدراهم) ، وغير (مصلوبة النهدين) أو (طائشة الضفائر) أو (همجية الشفتين) ، وهو يعنون بعض قصائده إلى (ساق) و (إلى مضطجعة) الخ ... وأني لأذكرانني قلت في معرض تعليقي على نقد الصديق الأستاذ رئيف خوري لقصيدة(أجيرة) ان شعر هذا الشاعر صدى لانحطاط الطبقة الأرستقراطية العربية المتنعمة ، مالكة الضياع والقصور والحريم ! وشعر هذا الشاعر يعتمد على اللفظة الجميلة المنتقاة ، وعلى موسيقى الشعر الغنائية ، وعلى الصورة الخارجية المحسوسة في أغلب الأحيان . ونظرة نزار إلى المرأة ، نظرة جاهلية بدائية لا تحفل بأي معنى إنساني عميق . ويلوح لي أن ثمة تجربة شخصية خاصة بالشاعر مرت له هذا الموقف اللاإنساني نحو المرأة ، وهو بذلك لا يختلف في فكرته عن المرأة عن أي شاعر عربي قديم ، فكلا النظرتين حسية ، تصور موضع الإثارة في المرأة ، باختلاف التشابيه . ومما لا شك فيه أن هذه النظرة إلى المرأة تصاحب عادة وضعاً اجتماعياً معيناً لمجتمع من المجتمعات يقف في درجة واطئة من سلم التطور .

في « رسائل لم تكتب لها » يقول الشاعر نزار قباني :

مزقيها – كتبي الفارغة الجوفاء ان تستلميها – والعنيني – والعنيها – كاذباً كنت .. وحبي لك دعوى أدعيها – إنني أكتب للهو فلا تعتقدي ما جاء فيها –

ويقول في نهاية القصيدة :

أتلهى بك .. بالكلمة تمتص وريدي –فحياتي كلها شوق إلى حرف جديد– ووجود الحرف من أبسط حاجات وجودي –

يقول نزار انه كاذب في حبه ، وأنه إنما يكتب للهو لا أكثر ، وهو يتلهى بالكلمة التي تمتص منه الوريد ، ومع ذلك فوجود الحرف حاجة عميقة لديه ، ولكن الواقع أن الشاعر يحاول أن يقول ، انه يستلهم المرأة عن مضض، وعن عدم إيمان بكيانها الإنساني ، لأنها باعث عميق على كتابة الحرف ، وهو بذلك لا يختلف عن شعراء الرومانتيكية الأوائل الذين يبحثون عن المرأة في سبيل مادة شائعة (للإلهام) . ولكن المرأة جزء هام من الحياة على كل حال ، غير أنها ليست كل شيء ، والشاعر الذي يكتب قصيدة (خبز وحشيش وقمر) و (قصة راشيل) يدرك هذه الحقيقة جيداً . وبعد ، فالظاهر أن قول نزار (كاذباً كنت وحبي لك دعوى أدعيها) يقصد به التشفي وروح الانتقام التي تسود أكثر قصائده ، وإلا صح ان نقول أن (الكذب) يبرر وجود الحرف الذي هو أبسط حاجات شاعرنا الراتع في أجواء لندن الساحرة الرخية . أسلوب القصيدة لامع منحوت ، نثري يرتفع إلى مستوى التعبير الشعري ، والشاعر موفق في اختياره بحر الرمل المقفى المتحرر من تعادل التفاعيل وزناً لقصيدته ، والقصيدة ناضجة في موضوعها على كل حال .

يا نجمي .. يا نجمي الأوحد : صلاح الدين عبد الصبور

يروي موليير في إحدى مسرحياته ، أن أحد التجار أراد أن يتعلم ، وفي البدء تعلم أن الكلام إما شعر أو نثر ، وأن كل ما ليس بشعر نثر . وقد دعاه العجب أن يسأل معلمه فمن أي نوع أنا أتكلم ؟ وعندما أجيب أنه يتكلم نثراً ذهب إلى الأقارب والأصدقاء ليروي لهم هذا النبأ العجيب ! وعندما كنا صغاراً في الكتاتيب ، كنا نحفظ الآية (إنا أعطيناك الكوثر) ونرتلها كثيراً دون أن نفقه لها معنى ، وحين انتقلنا إلى الصف الأول الابتدائي ، كنا نقرأ قصيدة مطلعها :

عجب ، عجب ، عجب قطط سود و لها ذنب

ونترنم بها طول النهار . ولكن في ذات مرة جاءني صديق في الكلية يعلن أن آية (إنا أعطيناك الكوثر) وقصيدة (عجب ، عجب ، عجب) من البحر (المتدارك) واننا طوال فترة كبيرة من العمر لا نعلم بذلك . وذهب يروي إلى الزملاء قصة اكتشافه العجيب !

ولكن يبدو لي أن الشاعر صلاح الدين عبد الصبور لا يذكر أن هذا البحر الساذج – المتدارك – هو أبسط البحور ، وأحفل الأوزان الشعرية بالنغم السهل الراقص ، وأكثرها تعلقاً بالذاكرة منذ الطفولة الباكرة . فلقد كتب قصيدته (يا نجمي ، يا نجمي الأوحد) ، معتمداً البحر المتدارك ، ومع ذلك فهناك خمسة أبيات فقط من مجموع القصيدة ، قد سلمت من الخطأ العروضي الذي وقع فيه الأخ صلاح الدين عبد الصبور في جميع ما كتب من شعر على صفحات هذه المجلة . والذي يبدو لي أن الشاعر صلاح الدين عبد الصبور أجهل الشعراء قاطبة بعلم العروض ، واني لأذكر أن الأخ بدر السياب نبهه إلى هذا النقص الخطير في ثقافته الشعرية ولكنه لأمر ما لم يلتفت . وبعد فأنا ما زلت على رأيي في شعر هذا الشاعر ، ولعل مقدمة هذا النقد تشير إلى الكثيرين من أمثاله ، موضوع القصيدة جميل ، وان كان الشاعر ليس أول من كتب فيه ، فهو يودع نجمه الأوحد، لأن أيام هذا العصر مريضة يغمرها الظلام المدلهم الذي يولد فيه الرعب ، والذي يحيل أبناء هذا القرن إلى أقزام مقرورين ، حيث (تعتل كليات الحب) وحيث لا وجود للحب فوق كوكب مخرب حزين .

ليشق الأخ عبد الصبور أنني أقدر محاولاته الشعرية ، ولكن ما من مرة حاول فيها ونجح ، لأن ثمة عناصر هدامة تتداخل في صميم عمله الشعري ، تبيد كل محاولة ، ومن هذه العناصر أسلوبه النثري المباشر ، ونقله للصور نقلا فوتوغرافياً فاقداً الصفة الفنية ، وتخبطه في الأبحر العربية على غير هدى . غير أن في القصيدة التياعات جميلة حقاً مثل قوله : –

مسحت صدرك الشباك أصابع ريح شرقيه
وتوهج قلبانا من شيء يولد في الظلمه
فتلاصقنا – وتعانقنا .

وحبذا ، لو التمعت مثل هذه الإشراقات بصورة أغزر في قصائده المقبلة ، ونحن بانتظار ذلك .

غارسيا لوركا : بدر شاكر السياب

لا أدري لم أثارت هذه القصيدة شواهد كثيرة في نفسي ، عن المصائر الغريبة التي انتهى إليها بعض كبار الشعراء : امرؤ القيس الذي مات مسموماً على ما يروى ، والمتنبي القتيل ، وتشاترتون المنتحر ، وشيلي الغريق ، وبيرون الذي استشهد قرب خطوط القتال في اليونان ، وكيتس الذي مات مسلولا

(وكذلك الشابي) رامبو الذي توفى مقطوع الساق ، وبوشكين الذي توفي إثر مبارزة (وكذلك ليرمنتوف) وفيزتاروف الشاعر البلغاري الذي أعدمه الألمان في الحرب الأخيرة ، وميكويل هرناندز الشهيد في سجون إسبانيا ، وفيديريكو غارسيا لوركا الذي استشهد برصاص إحدى العصابات الفاشية ، بالقرب من (غرناطته) الجميلة .

كتب الأستاذ بدر السياب كلمة في جريدة محلية قبل أيام ، لعلها صدى لمقالة للشاعر ستيفن سنبدر أعجب بها الأخ بدر ، يقول فيها ان أوضاع هذا العالم القاسي المضطرب تتآمر لاغتيال كل قيم الإنسان المعنوية ، وإذاً فشخصية الشاعر مهددة على الدوام بأفدح الأخطار ، لأن قوة المال هي التي تسود في العصور الحديثة . ويلوح لي ، أنه ليس مجرد الإعجاب بشاعرية لوركا العظيم هو الذي أوحى لشاعرنا العربي أن يكتب قصيدته الرائعة ، بل إن بدراً أراد أن يبرهن على صحة آرائه تلك بفاجعة شاعر إسبانيا الشهيد .

القصيدة من أغرب وأجمل ما قرأت في بابها ، فهي تعبير عن تجربة نحو شاعر بنفس أسلوب هذا الشاعر . وبمجرد نظرة خاطفة على القصيدة ، يتضح لنا أن بدراً حاول ، ووفق إلى أبعد حدود التوفيق في التعبير عن تجربته إزاء شخصية لوركا ، بأسلوب لوركا الرائع نفسه ، والذي قلت عنه في العدد السابق من هذه المجلة « إن حشداً من الصور اللاواقعية – المكتسبة من الواقع – حيث تفقد الكلمة فيها دلالتها المباشرة في الخارج ، تكون في التحليل الأخير أدب لوركا .. » ١ .

وحتى شراع (كولمبس) الخفاق في عرض العباب ، يتخذ معنى رائعاً في نهاية القصيدة ، حتى لكأن الشعب الإسباني يتمثل في شخصيتين مغامرتين ، الأولى مخرت عباب اليم المظلم البعيد ، فاكتشفت عالماً جديداً ، والثانية تلك التي وجدت عالمها الشعري السحري الغريب .

وبعد ، فأنا معجبٌ بقصيدة بدر ، وأنا أحسب أن هذا الشاعر المجدد لم ينصف حتى الآن ، ذلك لأن (أشرار أثينا يطردون أخيارها ، كما تطرد الثيران الرديئة النقود الجيدة) كما يقول الشاعر اليوناني أرستوفان . وتحيتي إلى جميع الشعراء الذين اشتركوا في العدد السادس من مجلة « الآداب » .

بغداد — **كاظم جواد**

القصص

بقلم الدكتور احمد مكي

أشعر وأنا أدون هذه السطور القليلة ، انني تحت كابوس من الاعتبارات ، وددت صادقاً لو نجوت منها . فالحكم على الآثار الأدبية المعاصرة تجربة يجدر بكل إنسان أن يتفاداها ، إذ قلما يستطيع الإنسان أن يتجرد من ذاتيته في أحكامه ، وفي الأدبية منها خاصة .

ولكن ... لا بد مما ليس منه بد ، كما قيل . لذلك أغضي عن كثير وأتناسى كل شيء ....

حوى العدد الأخير من الآداب ، في نطاق العمل الذي أقوم به ، قطعتين فحسب . هما « شمس حزيران » و « انتجون » . أما قصة « المنتقم » فمعربة ، ولا شأن لي الآن بما عرب . وأما « اننا عائدون أبداً » فلا أعتبرها ، بشكلها الحاضر ، داخلة في نوع القصة .

مهمتي إذن محصورة في قصة وتمثيلية . أما الأولى لمؤلفها صباح محيي الدين ، فقطعة واقعية من وحي لندن ، وأما الثانية – لواضعها محمد علي ماهر – فقطعة تاريخية عالجها من قبل غير واحد بعد سوفوكل ، الذي كان له فضل السبق فيها .

لا يخلو عنوان القصة الأولى من طرافة ومن إيحاء ، لا سيما إذا أخذ القارئ بعين الاعتبار أن حوادث القصة قد جرت في بلد ، لا تطل فيه الشمس إلا مبرقعة بالضباب والدخان ، لذلك كان لشمس حزيران فيها ما يشبه السحر ... ولقد سألت نفسي ، أول ما وقع نظري على العنوان : لم اختاره الكاتب ؟ وما عسى أن تكون الصلة بين موضوع القصة وعنوانها ؟ إذ الغالب في هذه الأيام أن يومىء العنوان إلى الموضوع من بعيد ...

الأمر هنا غير ذلك . فالعنوان ينطبق على الموضوع ، وهذا بحد ذاته طريف يعالج مشكلة إجتماعية ، تكاد تكون مستعصية ، عنيت مشكلة الزواج من الأجنبيات . وقد حاول الكاتب أن يجد العذر لمن تزوج من أجنبية ، تسلك في الحياة مسلكاً يخالف ما ألف الناس في هذا الشرق .... ولكنه لم يوفق إلى إقناع أكثر الناس إيماناً بجدوى هذا التفاعل الاجتماعي .

والقصة ، كما هي ، مفككة من الناحية الفنية . فالارتباط الفني مفقود في بعض أقسامها ، فهي إذا جاز التعبير قصة ذات طيات ، لا ترفع طية منها حتى تطالعك أخرى . يسترسل الكاتب في وصف الحالة النفسية التي يمر بها الفتى الشرقي ، حين يشتعل اللهيب في جسده ، فيزيده اشتعالا ما يزينه له قلبه من الألوان ، وما ينمقه له الخيال من الأشكال ، فيمضي باحثاً عن الضالة المنشودة لتكون رضى للقلب ، وارتياحاً للفكر ... واستقراراً للجسد .

فتى شرقي كبتت فيه العواطف ، ولجمت فيه الرغبات ، فانتقل مصادفة الى غير بلاده ، وعاش مع غير اهله ، وانقطع عن النور ، ليغرق في الظلام . فاذا به يقع في لندن على ما هو اشد هولا من عزلة بلاده ، يصبو الى امرأة . تكون لكل مافي الرجل ، فلا يجد الا التي ترضى حاجة واحدة فيه ؛ ويمضي في

(١) أترك القصيدتين المترجمتين في العدد السابق ، للشاعر لوركا ، إلى النقاد المترجمين الذين يهتمون بشعر هذا الشاعر .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير – بيروت

ص. ب ٦٥٦ – تلفون ٢٧٦٨٢

تختار لكم آخر ما صدر عن دور النشر العربية

آثار اقدام . . . . . اميل الخوري
تاريخ الجزار . . . . . الامير حيدر شهاب
تاريخ الروم (جزءآن) . . . . . الدكتور اسد رستم
المسرحية في الأدب العربي الحديث . . . الدكتور محمد يوسف نجم
توما الأكويني . . . . . الاب ميخائيل ضومط
الفن ومذاهبه في الشعر العربي . . . . الدكتور شوقي ضيف
الفن ومذاهبه في النثر العربي . . . . الدكتور شوقي ضيف
الإمام علي . . . . . جورج جرداق
ملحمة عيد الرياض . . . . . بولس سلامه
القضية الفلسطينية . . . . . اكرم زعيتر
كتاب المنفى . . . . . رشيد نخله

كما تجدون في مكتبة انطوان فروعاً خاصة للتاريخ والفلسفة والأدب والشعر والقصص الخ...

البحث ويطيل فيه ، ويعاني مضض هذه الأزمة ردحاً طويلا ، لأن المرأة الانكليزية كما تحقق ذلك بنفسه ، اعجز من ان تدخل الدفء الى نفسه ، فيبرم بالجو الثقيل الذي ترزح تحته البيوت الانكليزية في الداخل ، وبالضباب الكثيف الذي يغشى كل شيء حولها في الخارج .

يؤخذ على الكاتب ، انه يصف لندن « بانها مدينة الملايين من البشر ، والنساء الثلاث لكل رجل » حين يعرض لنا انفعالات بطله وتصرفاته ، وهو الذي « تعود الخروج من المدرسة ظهراً ... ليغوص في لجة من الناس » محاولا « ان ينسى وحدته وانفراده في هذا البحر من السابلة من كل جنس وعرق . » يؤخذ عليه ان يتشبث بتصوير تلك الانفعالات كأن بطله لايزال عائشاً في الشرق وفي قرية ومنه أيضاً ..وكان حرياً به ان يتدرج في تصوير تلك الانفعالات أمام هذه المشاهد غير المألوفة والأنطباعات العنيفة .

وبالاختصار ان هذه القطعة تدنو من القصة كلما نأت عن الحقيقة لكن كاتبها بالغ ما يصبو اليه اذا تآخى اسلوبه والبيان وتصافى موضوعه والواقع .

اما القصة الثانية – عنيت التمثيلية ، فعنوانها اشهر من ان يعرف . فقد عولجت بعد سوفوكل ، عدة مرات ، عالجها روترو ، والفيبري وغيرهما .

يجدر بنا ، بادئ ذي بدء ، ان نعلن ان مؤلف « انتجونا » العربية ، تفادى كثيراً من المشكلات ، باختياره موضوعاً تاريخياً ، لقطعته التمثيلية ، لأن المواضيع التاريخية ، كما هو معلوم ، اكثر طواعية للغة المسرح ، من الموضوعات الواقعية .

واعترف انه كان بودي لو اقارن بين عمل اديبنا العربي ، والادباء الآخرين ؛ باستثناء سوفوكل طبعاً ، ولكن ذلك يبعد بنا عن الغاية التي نتوخاها. ولما كانت هذه المقارنة غير ممكنة في هذه المناسبة ، لذلك اكتفي بالكلام على القطعة بحد ذاتها .

لقد تساءلت ، اثر قراءة « انتجونا » عن الفكرة او الأفكار التي احب الكاتب ان يوجه اليها الأنظار . فلم اجدها بالوضوح المفروض في مثل هذه المواضيع . ولقد كان حرياً بالكاتب ان يوضحها ، لا في توطئة كما فعل ، بل في التمثيلية نفسها . اذ انه من البداهة بمكان ، ان نقول ان الغاية الرئيسية في معالجة امثال هذه المواضيع القديمة ، التي اكتسبت شهرة عالمية ، لاتكون الا بالباسها حلة فنية قشيبة ، او إعطائها فكرة فلسفية مبتكرة . وفي كلتا الحالتين اخفق محمد علي ماهر .

فالتمثيلية التي طلع بها علينا في مشهد واحد ، تتحتم تجزئتها الى عدة مشاهد ، لتكون احسن عرضاً ، واطيب وقعاً في النفوس . اذ كيف يعقل ان يروي حوار بين شخصين بالشكل الذي جعل الكاتب « اسمين » ترويه ؟ ثم كيف يمكن الانتقال من مقال الى آخر ، كما كان مفروضاً ان يكون – لو جزأ الكاتب قطعته الى مشاهد ، عنيت ما جرى بعد كلام كريون « بقدر (كذا) ماتلعنونها ، بقدر (كذا) ما اباركم ... »

حين يضعنا الكاتب فوراً امام حوادث كان الفن يقضي بالتمهيد لها قبل عرضها ؛ اليس في ذلك ما ينبيء بان الكاتب اغفل ابسط قواعد الفن التمثيلي ؟.

لكن كل ذلك لايمنعنا من القول بان كاتبنا واصل الى النجاح في هذا الفن ولكن... بعد مران طويل ، ومعرفة صحيحة لقواعد الأدب المسرحي ، واستكمال لادوات البيان ...

اعود بعد الانتهاء من تدوين هذه السطور القليلة ، فاشعر مجدداً بانني ارزح تحت ذلك الكابوس الذي تحررت منه ، حيناً ، فاذا به يعاودني هذه المرة اكثر عنفاً واشد الحافاً .

احمد مكي

بمناسبة اعتراف مصر الثورة بحكومة الصين الشعبية ، اقرأ قصة الثورة الصينية الكبرى التي تشبه في حوادثها الأساطير ، في كتاب :

العملاق الأصفر

بقلم : خيرات البيضاوي

في سلسلة الدراسات السياسية الوطنية المصورة :

اضواء على السياسة العالمية

من منشورات : دار البيضاوي - بيروت

ص. ب. ٢٩٩٥ هاتف : ٣١٣٠٧

الثمن : ١٠٠ غرش لبناني او ما يعادلها

صدر حديثاً عن دار بيروت

بوشكين

تأليف	ترجمة
هنري ترويا	الدكتور فؤاد ايوب

اميل زولا

بقلم	ترجمة
اميل زولا	رمضان لاوند

صلاح الدين وسنان

تأليف : عامر تامر

فـــن السيرة

تأليف : الدكتور احسان عباس

برنارد شو العقل الساخر

تأليف : عبد اللطيف شراره